جودة الحياة الأسرية واكتساب الموهبة اللغوية في مرحلة الطفولة المبكرة

د. محمد داودي

ملخص الدراسة

شهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بمرحلة الطفولة المبكرة من جميع النواحي النفسية والمعرفية واللغوية والانفعالية والاجتماعية وغيرها ، كما زادت أدوار الأسرة أهمية وتعقيدا، حيث لم تعد تربية الطفل قاصرة على الاهتمام به من الناحية الجسمية والرعاية الصحية فقط ، إذ ظهرت مهام أخرى أكثر أهمية وأكثر تعقيدا، ومن هذه المهام التي أصبحت أساسية وضرورية في وقت مبكر من حياة الطفل، المساهمة الفعالة في نموه اللغوي والعقلي والمعرفي ، من خلال توفير بيئة أسرية داعمة لنمو مواهبه اللغوية وقدراته الفكرية التي يمكن أن تتحول لعملية إبداعية دائمة ومتجددة.

تتلخص أهداف هذا البحث في تحديد مفهوم الأطفال الموهوبين لغويا، والتعرف على المقاربات النظرية المفسرة للموهبة اللغوية المبكرة، وتوضيح جودة الحياة الأسرية الداعمة لاكتساب المهارات اللغوية في الطفولة المبكرة، وفي الأخير حددنا علاقة جودة الحياة الأسرية باكتساب الطفل للمهارات اللغوية المبكرة.

تكمن أهمية البحث الحالي في أنه يلقي الضوء على مرحلة من أهم مراحل النمو الإنساني ، وهي مرحلة الطفولة المبكرة، لما لها من أهمية قصوى في تحديد مسار نموه وشخصيته في المستقبل ، كما يركز على جانب بالغ الأهمية في هذه المرحلة وهو الموهبة اللغوية، وإذا كانت الدراسات السابقة في هذا المجال ركزت على الموهبة اللغوية في المراحل التعليمية المختلفة ، فإن الدراسة الحالية واحدة من الدراسات القليلة في بيئتنا العربية التي بحثت موضوع الموهبة اللغوية في الطفولة المبكرة، من خلال معرفة جودة البيئة الأسرية ودورها في تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل ، ومن ثم فإن الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها يستفيد منها كثير من المربين والتربويين الذين يتعاملون مع الأطفال في مراكز رعاية الموهوبين والمتفوقين بصفة خاصة ، وفي قطاعات مختلفة مثل الأسرة والمدرسة ورياض الأطفال بصفة عامة.

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملاءمته لمثل هذا النوع من البحوث، من خلال وصف تحليلي للتراث الأدبي والدراسات المتعلقة بجودة الحياة الأسرية واكتساب الطفل للمهارات اللغوية في مرحلة الطفولة المبكرة. وقد تم تقسيمه إلى مجموعة من العناصر ، أولا: تحديد مفاهيم الدراسة، ثانيا: المقاربات النظرية المفسرة للموهبة اللغوية، ثالثا: العوامل المساعدة على اكتساب المهارات اللغوية المبكرة، رابعا: الموهبة اللغوية وكيف يتم اكتشافها، خامسا: جودة الحياة الأسرية الداعمة للموهبة اللغوية، وفي الأخير تقدمنا بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات.

مقدمة

تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل النمو الإنساني، ومن أكثرها تأثيرا في شخصيته وقدراته ومواهبه، بل وفي كل مجالات حياته المستقبلية، لأنه يكتسب فيها مجمل الخصائص النفسية والاجتماعية التي تساعده على النمو، حتى سماها بعضهم العصر الذهبي للغة ، ولهذا يؤكد علماء النفس على خطورة الست سنوات الأولى من حياته، حيث تظهر لدى البعض من الأطفال بوادر الموهبة والعبقرية في مجال أو مجموعة من المجالات. وقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بهذه المرحلة من جميع النواحي النفسية والمعرفية واللغوية وغيرها، وزادت معه أدوار الأسرة أهمية وتعقيدا، حيث لم تعد تربية الطفل قاصرة كما كانت على الاهتمام به من الناحية الجسمية والرعاية

الصحية فقط، فظهرت مهام أخرى أكثر أهمية وأكثر تعقيدا، ومن هذه المهام التي أصبحت أساسية وضرورية في وقت مبكر من حياة الطفل، المساهمة الفعالة في نموه اللغوي والعقلي والمعرفي، من خلال توفير مناخ أسري آمن، وبيئة أسرية ثرية مستقرة، ومحفزة على اكتساب المهارات اللغوية في الطفولة المبكرة.

لقد أثار موضوع اكتشاف الأطفال الموهوبين لغويا في مرحلة الطفولة المبكرة اهتمام الباحثين والأخصائيين التربويين وواضعي المناهج الدراسية، من حيث أنه يحتاج إلى فهم عميق بخصائص النمو ومظاهره في هذه المرحلة من جهة، ودراية بأهمية العوامل المساعدة والمصاحبة والمدعمة لنمو المهارات المعرفية واللغوية مبكرا من جهة أخرى، ولذا فقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين حركة واسعة تدعو إلى تنشيط الاهتمام بالموهوبين والمبدعين ، وتركز على ضرورة الكشف عنهم وتشخيصهم في سن مبكرة (١). وتعتبر الأسرة هي المؤسسة الأولى المسؤولة على إعداد أجيال الأطفال الموهوبين، بل تعتبر المؤسسة المختصة في ذلك قبل أي مؤسسة أخرى، فهي المسؤولة عن الطفل وتنمية ذكائه وإدارة إبداعه، ومن ثم تقوم بدور أساسي في عملية تنمية قدراته التي يمكن أن تتحول لعملية إبداعية دائمة متجددة (٢).

إن الأسرة ذات الوعي التربوي المرتفع تدرك من وقت مبكر خصائص أطفالها والفروق الفردية بينهم، وتعمل على تنمية قدراتهم وفق تلك الخصائص والفروق، وتعترف بقدراتهم وتسعى لتنميتها وفق رؤية واعية مدركة لحجم تلك القدرات ونوعها، وتسعى مجملا إلى توفر بيئة أسرية داعمة لنمو الموهبة على أساس أن للأسرة القدح المعلى في نمو الموهبة وتطورها، وهذا ما أكده العديد من العلماء من خلال البحوث والدراسات مثل بلوم وتورانس (Bloom ، ١٩٨٥) (Torrance، ١٩٦٢) (٣)، وبروكس (Brooks) (٤) الذي يرى أن فشل الأسرة في ذلك قد يؤدي إلى انحراف الموهوب وضياعه. وعلى هذا فإن البحث في مجال جودة البيئة الأسرية من حيث مساعدتها وتيسيرها ودعمها لنمو الموهبة يصبح من البحوث ذات الأهمية القصوى، فعليها تقوم النهضة وتتقدم الأمم، وعلى ضوء مخرجاتها تتم رعاية وتنمية المواهب بالصورة المثلى (٥).

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تلقي الضوء على مرحلة من أهم مراحل النمو الإنساني، وهي مرحلة الطفولة المبكرة، كما تركز على جانب بالغ الأهمية في هذه المرحلة وهو الموهبة اللغوية، وإذا كانت الدراسات السابقة في هذا المجال ركزت على الموهبة اللغوية في المراحل التعليمية المختلفة ، فإن الدراسة الحالية واحدة من الدراسات القليلة في بيئتنا العربية التي بحثت موضوع الموهبة اللغوية في الطفولة المبكرة ، أي مرحلة ما قبل التمدرس، من خلال معرفة جودة الحياة الأسرية ودورها في تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل ، ومن ثم فإن الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها يستفيد منها كثير من المربين والتربويين الذين يتعاملون مع الأطفال في قطاعات مختلفة داخل الأسرة ورياض الأطفال بصفة عامة ، وفي مراكز رعاية الموهوبين بصفة خاصة ، وأخيرا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن أيضا في أن مادتها العلمية قد تساعد الدارسين والأخصائيين في بناء برامج إرشادية وتربوية وتكوينية خاصة بالأطفال الموهوبين في مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي.

أهداف الدراسة :

تتلخص أهداف هذه الدراسة في تحديد مفهوم الأطفال الموهوبين لغويا ، والتعرف على المقاربات النظرية المفسرة للموهبة اللغوية المبكرة ، وخاصة نظريتي الذكاءات المتعددة والمرحلة الحرجة في النمو ، وتحديد العوامل المساعدة على اكتساب الموهبة اللغوية، وتوضيح جودة الحياة الأسرية الداعمة لاكتساب المهارات اللغوية في الطفولة المبكرة.

تساؤلات الدراسة :

انطلاقا مما ذكرناه سابقا تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات التالية:

- ما ذا نعني بالأطفال الموهوبين لغويا؟
- ما أهم المقاربات النظرية المفسرة للموهبة اللغوية في مرحلة الطفولة المبكرة؟
- ما هي العوامل المساعدة على اكتساب المهارات اللغوية المبكرة؟
- ما علاقة جودة الحياة الأسرية باكتساب الطفل للمهارات اللغوية المبكرة؟

منهج الدراسة وخطواتها :

بالنظر إلى الطبيعة النظرية للبحث ، فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي

التحليلي، وذلك لملاءمته لمثل هذا النوع من الدراسات ، من خلال وصف تحليلي للتراث الأدبي والدراسات المتعلقة بجودة الحياة الأسرية واكتساب الطفل للمهارات اللغوية في مرحلة الطفولة المبكرة.

ويأتي هذا البحث في مجموعة من العناصر على النحو التالي:

أولا: الإطار المفاهيمي:

١- الموهوبون لغويا :

أ- الموهبة : هي الاستعداد الفطري لدى المرء للبراعة في فن أو نحوه ، أو هي عطية طبيعية وإجادة في فن أو علم (٦).

وتعرف أيضا بأنها مستوى عال من الاستعداد والقدرة العامة على التفكير المتجدد ، والأداء الفائق في أي مجال له قيمة من مجالات النشاط الإنساني ، سواء كان علميا أو عمليا أو اجتماعيا أو قياديا أو جماليا ، أو غيره من المجالات (٧).

ب- الطفل الموهوب : هو الذي لديه قدرة غير عادية على أداء وممارسة مهارات في مجال معين (٨).

ويعرف الطفل الموهوب أيضا بأنه من لديه الاستعدادات الفطرية والعقلية أو الخاصة – ما يمكنه في حاضره ومستقبله – من تحقيق وإظهار مستوى وأداء مرتفع عن أقرانه من الأطفال العاديين قبل المدرسة ، إذا توفرت لهذا الطفل الموهوب ظروف الرعاية التربوية المتكاملة والمتواصلة في الأسرة ورياض الأطفال (٩).

ج- الموهوبون لغويا : باعتبار أن الموهوب لديه مجموعة من القدرات والمهارات ، وباعتبار أن الدراسة الحالية تركز على الست سنوات الأولى من حياة الطفل ، فإن الموهوب لغويا هنا هو الطفل الذي لديه مهارة التعبير الشفوي ، أي أنماط السلوك اللغوي الشفوي التي يستخدمها الأطفال للتعبير عن حاجاتهم وآرائهم وأفكارهم للذين يحيطون بهم.

٢- جودة الحياة الأسرية :

أ- الجودة لغة: الجودة من الفعل جاد ، جود ، جودة أي صار جيدا ، وهو ضد الرديء ، وجود الشيء : أي حسنه وجعله جيدا (١٠).

وقال ابن منظور: (١١) الجودة في اللغة من الفعل جود ، وجاد الشيء جودة : أي صار جيدا ، وقد جاد جودة وأجاد : أي أتى بالجيد من القول أو الفعل.

ب- جودة الحياة الأسرية: يعرف سميث (Smith، ٢٠٠٥) جودة الحياة الأسرية بأنها الحاجة إلى الترابط القوي لأفراد الأسرة. ويرى كل من براون وبراون (Brown & Brown، ٢٠٠٦) أن جودة الحياة الأسرية هي الدرجة التي يحتاج فيها أفراد الأسرة إلى الالتقاء ، والمدى الذي يستمتعون فيه بوقتهم معا ، والمدى الذي يكونون فيه قادرون على فعل أشياء هامة مع بعضهم البعض.

ويعرف إيزاكس وآخرون (Isaacs، ٢٠٠٨) جودة الحياة الأسرية بأنها الأداء الجيد للوالدين في الأسرة أو هي السعادة الأسرية (١٢). وهي أيضا نوعية الحياة الأسرية المستقرة والتي تضمن سعادة أفرادها لإدراكهم أن حياتهم ذات معنى ، ويتوفر فيها احتياجاتهم المختلفة ، ويتحقق ذلك عن طريق التوافق بين الزوجين وقدرتهم على التواصل ومواجهة صعوبات الحياة معا، وقدرة الزوجين على النجاح في رعاية أبنائهم بدنيا نفسيا واجتماعيا، مما يوفر الظروف البيئية الملائمة لتنمية قدرات ومهارات الأطفال لإعداد جيل صاعد للمجتمع من الموهوبين والمبدعين (١٣).

٣- المرحلة الحرجة :

يطلق مصطلح المرحلة الحرجة على تلك الفترات التي يكون الفرد فيها مهيئا لنمو عضوي أو مهاري أو سلوكي معين، إذ يؤدي النضج إلى الاستعداد والتهيؤ لأنماط سلوكية جديدة، ويشير علماء نفس الطفل بأنه توجد فترات حاسمة أو ذات حساسية كبيرة في نمو الأطفال، والتي أثناءها يصبح تعلم أنماط سلوكية ممكنا (١٤).

٤- الذكاءات المتعددة :

يعرفها غاردنر على أنها القدرة على حل المشكلات، أو إبداع نتاجات ذات قيمة في بيئة ثقافية أو أكثر (١٥).

ثانيا: المقاربات النظرية المفسرة للموهبة اللغوية:

إن السنوات التي يقضيها الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة ، وهي الفترة من الميلاد ولغاية السنة السادسة من العمر، من الفترات المهمة التي تحدث تغيراً سريعاً في نموهم وفي طرائق تفكيرهم بأنفسهم وبالعالم المحيط من حولهم (Copple and Bredekamp، ٢٠٠٩؛ Bredekamp and Copple، ١٩٩٧؛ Sameroff and McDonough، ١٩٩٤). ويتأثر هذا التغير بالطبع بجملة من العوامل النمائية

والبيئية. وهناك نظريات متعددة فسرت تطور ونمو مهارات الأطفال في هذه المرحلة نذكر من بينها : نظرية المرحلة الحرجة Critical period لصاحبها لينيبيرغ Lenneberg ، ونظرية الذكاءات المتعددة لغاردنر Gardner، ونظرية إريكسون Erikson حول النمو النفس اجتماعي، ونظرية فيجوتسكي Vygotsky حول منطقة النمو والتطور Zone of proximal development وغيرها ، ستركز الدراسة الحالية على مقاربتين اثنتين هما: نظرية المرحلة الحرجة للينيبيرغ ونظرية الذكاءات المتعددة لغاردنر، وذلك لأن توجهاتهما تتماشى مع أهداف البحث الحالي، وهذا عرض مختصر للنظريتين.

١- نظرية المرحلة الحرجة للينيبيرغ :

يلقى مفهوم الفترة الحرجة اهتماما متزايدا من قبل علماء النفس المعاصرين ، وتزداد قناعة هؤلاء العلماء وعلى رأسهم لينيبيرغ بوجود فترات حرجة في النمو يتسارع خلالها تطور بعض العمليات النفسية ، وتكون العضوية فيها شديدة الحساسية وعرضة للتأثر السريع بالمثيرات البيئية، فإذا لم تستثر العضوية في هذه الفترات أو كانت استثارتها غير مناسبة ، فقد تفقد القدرة على اكتساب الخبرات التي يجب أن تكتسبها أثناء تلك الفترات ، أو يتباطأ معدل سرعة اكتسابها لها ، الأمر الذي يؤثر سلبا في فترات النمو اللاحقة. ولهذا السبب تكون السنوات الأولى هي الأهم في مسيرة حياة الإنسان ، ففيها يكون الدماغ شديد الحساسية لاستقبال المحفزات المتعلقة بنمو اللغة، ويسمي العلماء هذه المرحلة بـ " نافذة الفرصة " (window of opportunity) ، وهذه النافذة تبدأ بالانغلاق عند حوالي عمر الخمس سنوات ، وينتهي معها الوقت الأفضل لنمو اللغة، وبذلك تصبح الفرصة غير مواتية، وأحيانا مستحيلة، خاصة عندما يصل الأطفال لسن العاشرة (١٦).

ولأهمية العوامل البيئية في السنوات التي تسبق المدرسة مباشرة أكد الاتحاد العالمي لتربية الطفولة (ACEI) على أهمية العوامل البيئية خلال الفترة التي يقضيها الأطفال في الروضة بشكل خاص على نموهم بمظاهره المختلفة (الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والروحية). وأعرب عن ذلك بالقول: "يدرك الاتحاد العالمي لتربية الطفولة أهمية التربية في الروضة، ويشدد على البرامج ذات الجودة العالية التي توفر خبرات مناسبة للأطفال: لغوياً، وثقافياً، ونمائياً" (١٧).

ومن ثم ينبغي علينا العناية والاهتمام بالطفل في هذه المرحلة المبكرة، لأن الخبرات الاجتماعية والعقلية والنفسية واللغوية والإدراكية تترك أثراً على شخصية الطفل ، قد يكون هذا الأثر إيجابياً، وقد يكون سلبياً تبعا لطبيعة الخبرات المكتسبة.

ويشير بعض العلماء أن الدماغ ينمو في البيئة المليئة بالحب والحنان ، فعندما يشعر الطفل بأنه آمن ومحبوب فإن الدماغ يفرز مادة تسمى السيراتونين ، والتي تسهل عملية التعلم (Arnold and Colburn، ٢٠١٠).

إن النمو اللّغوي في هذه المرحلة يتسارع تسارعا كبيرا، حيث يبدأ الطفل في إنشاء الجمل المتزايدة في الطول بداية من أصغرها المتكوّنة من ثلاث كلمات، إلى جمل من أربع كلمات، ومن خمس كلمات فأكثر، وهذا ما يساعده على مواجهة المواقف الاجتماعية التي تواجهه في حياته اليومية، حتى مع من هو أكبر منه سنا وبسهولة أكبر.

إذن من خلال ما قلناه حول نظرية المرحلة الحرجة نستنتج أن الطفل متعلم ماهر كما قال بياجيه، وعالمه مليء بالمثيرات والاستثارات المعرفية ، لكن من واجبنا نحن أن نساعده على التوفيق بين طاقاته الكامنة، وبين الاستفادة من جودة البيئة الأسرية المحيطة به في هذه المرحلة المهمة من حياته لتطوير مهاراته وقدراته اللغوية والمعرفية.

٢- نظرية الذكاءات المتعددة لغاردنر:

برزت خلال العشرين سنة الأخيرة نظرية غاردنر (Gardner) التي تعد من أكبر صيحات التربية الحديثة فيما يتعلق بالذكاء والموهبة، أطلق على هذه النظرية اسم الذكاءات المتعددة .(Multiple Intelligences) هذه النظرية خرجت إلى الوجود نتيجة لأبحاث معمقة في مجال العقل البشري الطبي والنظري، حيث تفترض هذه النظرية أن هناك ثمانية أنواع من الذكاء ، من الممكن لأي فرد أن يكون صاحب موهبة في واحد أو أكثر من هذه الأنواع ، هذه الأنواع الثمانية ه:

الذكاء اللغوي أو اللفظي، والذكاء الرياضي المنطقي، والذكاء الفضائي أو التصوري، والذكاء التناغمي الموسيقي ، والذكاء الجسدي أو الحركي، والذكاء

الاجتماعي، والذكاء النفسي الداخلي، والذكاء الطبيعي، والذي يهمنا في هذه الدراسة هو الذكاء اللغوي أو اللفظي حيث يظهر هذا النوع من الذكاء في القدرة على استخدام المفردات اللغوية في مواقف متعددة ولأهداف متنوعة. ومن أمثلة هذا النوع من الذكاء قدرات الإقناع، رواية القصص، إنشاء الشعر، الكتابة، إلخ... وعادة ما تجد أن الأفراد المتميزين في هذا النوع من الذكاء يعشقون اللعب بالمفردات على سبيل الدعابة ، كما أنهم متقنين لعمليات التشبيه والتمثيل والتوصيف، ويقضون أوقاتا طويلة في القراءة بلا ملل (١٨).

تعتمد نظرية الذكاءات المتعددة في بنائها على مبادىء أساسية ، منها:

١- كل الناس يملكون الذكاءات كلها وبدرجات متفاوتة ، وتعمل هذه الذكاءات بطرق معقدة.
٢- يستطيع معظم الناس أن يُطوروا كل ذكاء إلى مستوى ملائم من الكفاءة.
٣- يمكن تعريف الذكاءات المتعددة ووصفها.
٤- قلما يشاهد الذكاء على نحو مجرد (١٩) و (٢٠) و (٢١).

ويذكر عبيدات أن الذكاءات الثمانية رغم أنها موجودة عند كل الأفراد إلا أنها موجودة بتفاوت، فقد يكون شخص ما لغويا بدرجة عالية، في حين سيكون منطقيا بدرجة أقل، ولذلك لا نتعامل مع الآخرين على أنهم أذكياء أو قليلي الذكاء، فكل شخص يمتلك درجات متفاوتة من كل نمط ، وهكذا يكون لكل شخص بروفيل ذكاء وليس نسبة ذكاء (٢٢).

ويشير غاردنر أن الذكاء اللغوي يبدأ منذ سن صغير، فالمبدعون بدأوا الاهتمام باللغة مبكرا، ولذلك يكتسبون أنواعا كثيرة من مهارات التحدث من خلال استماعهم للبالغين والمحيطين بهم ، وبعضهم يميل إلى تقليدهم وهم يتحدثون ، ويستخدمون في حديثهم الأساليب اللغوية المختلفة ، والبعض الآخر يظهر براعة في معرفة الفروق الدقيقة في الخطاب المسموع ، لذلك ينصح غاردنر بالاهتمام باللغة الأم في الطفولة المبكرة.

٣- التعقيب على نظريتي:

المرحلة الحرجة في النمو والذكاءات المتعددة : نخلص مما قلناه سابقا أن المرحلة الحرجة في النمو محددة عموما بزمن ، وأن لكل مظهر أو مهارة من المهارات فترة حرجة تُكتسب فيها ، وأن هذه الفترة مرتبطة بنمو الجهاز العصبي والقدرات المعرفية من جهة ، وبثراء البيئة الاجتماعية وجودة الحياة الأسرية المحيطة بالفرد من جهة أخرى ، وأخيرا فإن المرحلة الحرجة موجودة أساسا في الطفولة ، ومن ثم وجب على الآباء والمربين والعاملين في رياض الأطفال الاهتمام بها في الوقت المطلوب.

أما بالنسبة لنظرية غاردنر فإن معرفة الأنواع المتعددة للذكاء ومهارات التفكير المتنوعة يعين الأخصائيين على أن ينظروا إلى من يتعهدوهم بمنظور يختلف عن الشائع : ذكي ، متوسط الذكاء، غبي أو صاحب قدرات متدنية،)فالنظرة هنا نظرة احترام للجميع (، لأن معظمهم أصحاب قدرات متعددة بحاجة إلى توفير فرص تعلمية متقدمة، تتناسب مع هذا التنوع في القدرات وأنماط التعلم (٢٣) و (٢٤). ونحن كآباء وأخصائيين يجب أن نحترم ميول الأطفال واتجاهاتهم نحو أي من هذه الذكاءات حتى يبرزوا بالشكل المطلوب ، ونساعدهم على التعبير عن مواهبهم ومهاراتهم بطريقة متفتحة فيها كل الحب والعطف والحنان.

على الرغم من تعدد النظريات المفسرة لاكتساب المهارات اللغوية إلا أن هناك اتفاقا فيما بينها حول أهمية مرحلة الطفولة المبكرة، وأهمية جودة الحياة الاجتماعية والأسرية والثقافية المحيطة بالطفل والتي يكتسب منها النماذج اللغوية. كل ذلك يؤكد على ضرورة إعداد بيئة تعليمية غنية بالمواقف والخبرات، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للطفل للحوار والمناقشة والتعرض للرموز اللغوية ومدلولاتها في ضوء المراحل النمائية لطفل ما قبل المدرسة (٢٥).

ثالثا: العوامل المساعدة على اكتساب المهارات اللغوية المبكرة:

هناك مجموعة من العوامل التي تساعد الأطفال على اكتساب المهارات اللغوية مبكرا نذكر من بينها:

١- سلامة الحواس في بيئة سليمة:

تعتبر حاسّة السّمع من أهم الحواس في تعلم اللغة الأم أو أي لغة أخرى، ولا نبالغ إذا قلنا بأنها الحاسة الأهم على الإطلاق، ولذلك وجدنا القرآن الكريم يقدمها على باقي الحواس بما في ذلك البصر، قال تعالى: " وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (٢٦). وقوله تعالى " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (٢٧).

ولا عجب في ذلك فالأذن هي أول وسيلة تعمل عند الجنين، وأول وسيلة يستقبل بها العالم الخارجي عند ولادته قبل حاسة البصر، وهي الأداة التي تعمل باستمرار في اليقظة والمنام (٢٨).

إن الطفل السّوي سمعيا يُكوّن لغته عن طريق الربط بين ما يسمعه من أصوات في البيئة، وما ترتبط به من معان ومفهومات ، كذلك هو يحاكي السلسلة الصوتية للرسائل اللفظية التي يسمعها، ويرى إيفانس (Evans،١٩٨٢) أن حاسة السمع أهم للإنسان من حاسة البصر ، لأن الفرد الأعمى يعتبر معزولا عن عالم الأشياء ، أما الفرد الأصم يعتبر معزولا عن عالم البشر، كما أن الفرد يستطيع أن يرى الأشياء التي تقع في مجاله البصري فقط ، أي في نطاق رؤيته، بينما يستطيع سماع الأصوات التي تقع خارج مجاله البصري، أي أبعد من نطاق رؤيته (٢٩).

٢- تعتبر القراءة بصوتٍ مرتفعٍ والتحدّث والغناء واللعب من الأنشطة التي تساعد الأطفال ليُطورُوا قدراتهم اللغوية.

ويشير (Kissel، ٢٠٠٨) إلى أن قراءة البالغين للأطفال بصوتٍ مرتفع هي الخبرة الأهم في تحسين مستوى وعيهم وفهمهم للغة وبالتالي تعلّمها. كما أن القصائد المستخدمة في الحضانات والشعر والأغاني تساعد الأطفال على اكتساب اللغة الشفوية، وكُتب الإيقاع والقصائد تساعد الأطفال على اكتشاف كيف يعمل الصوت في اللغة (الاستماع) (٣٠).

ولا بأس هنا أن نذكر ما رُوي عن الخليل بن أحمد أنه قال بصرت بشيخ على باب يعلّم غلاما، وهو يقول له قل:

نعم لا، نعم لا لا، نعم لا، نعم نعم

نعم لا، نعم لا لا، نعم لا، نعم نعم

قال الخليل : فدنوت منه فسّلمت عليه ، وقلت له : أيها الشيخ ، ما الذي تقوله لهذا الصّبي؟ فذكر له أن هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصبية عن سلفهم؛ وهو علم عندهم، حيث كانوا يروون صبيانهم الأرجاز، ويعلّمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب ؛ لأن ذلك يفتق اللّهاة ، ويفتح الجرم ، واللّسان إذا أكثرت تقليبه رقّ ولان ، وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكانه جسأ وغلظ (٣١). وهذا دليل قاطع على أهمية الاستخدام المبكر لحواس الطفل وأجهزته الصوتية، وتعويدها على الكلام واللغة وأصواتها لتكون وظيفية في المستقبل، وتؤدي دورها على أكمل وجه.

٣- ومن العوامل المهمة أيضا والمساعدة على اكتساب المهارات اللغوية مبكّرا نذكر:

ثقافة الوالدين ومستوى تعليمهم، ودور البيئة الأسرية المحفزة والداعمة للموهبة، ومستوى ذكاء الطفل، والالتحاق المبكر بالروضة أو بمدرسة قرآنية، وكذلك وسائل الإعلام والتليفزيون والراديو والأنترنيت وغيرها.

٤- جودة الحياة الأسرية:

سيأتي الحديث عنها لاحقا.

رابعا: الموهبة اللغوية وكيف يتمُّ اكتشافها:

إن تربية الطفل لم تعد قاصرة على اهتمام الأسرة به من الناحية الجسمية والرعاية الصحية فقط ، فهناك مهام أخرى أكثر أهمية وتعقيدا ، ومن هذه المهام التي أصبحت أساسية وضرورية في وقت مبكر من حياة الطفل، المساهمة الفعالة في نموه العقلي والمعرفي واللغوي، وبالتالي تحسين أدائه في مجالات مختلفة مثل اللغة والعلوم والرياضيات وغيرها ... لكنّ افتقاد الأسرة لمهارة التعامل لغويا وسلوكيا مع الأطفال في هذه السّن الحرجة، وعدم معرفة كيفية تقديم المفاهيم لهم، وكيفية الإجابة على أسئلتهم التي يطرحونها بإلحاح، كانت السبب في إخفاق كثير من الأبناء في المراحل التعليمية اللاحقة. وقد أكد ماكليلاند على أنه من السهل بمكان التعرف على الموهبة في الرياضيات أو في العلوم لكن بالمقابل من الصعب التعرف على الموهبة اللغوية وكيفية رعايتها وتطويرها.

إن الطفل المبدع ذو المواهب المعقدة، والقدرة العقلية المتميزة عن أقرانه، يحتاج إلى الملاحظة الدقيقة، والتوجيه الخاص، والرعاية التي تنمي قدراته، هذا الطفل يكون في جوع شديد إلى المثيرات التي تتحدّى قدراته وإمكاناته، والتي تنمي مهاراته (٣٢) ، مما يتطلب وجود محيط متفهم، واع بخصوصية الحالة التي يعيشها هذا الطفل، ابتداء بوالدين مُثقّفين، أو على الأقل متفهمين ومساعدين لابنهما، ومعلمة روضة قادرة على التكيف والتعامل الكفء مع هذا النوع من الحالات، وهذا لا يتحقق في جميع الوضعيات والحالات.

إن المهارات اللغوية متعددة المجالات ولا يمكن حصرها جميعا في هذه الدراسة ، وذلك لأنها تشتمل على عدد من القدرات هي :

١- القدرة على التعبير الشفوي.
٢- القدرة على القراءة.
٣- القدرة على الكتابة الإبداعية.
٤- اللغة الأجنبية أسامة (٣٣).

وتشير بوهامر (Bouhamer، D. ٢٠٠٢) أنه للحكم على الطفل أن لديه قدرات ومواهب لغوية لا بُدّ أن تظهر عليه المظاهر التالية:

- يحبّ الاستماع إلى الآخرين وهم يتحدثون.
- يحب تعلم كلمة جديدة.
- يفهمه الآخرون عندما يتحدث.
- يحب أن يحكي قصصا.
- لديه ذاكرة جيدة للأسماء والتواريخ والأشياء الأخرى.

إن الطفل في بداية حياته عادة يركز على الأشياء التي تسترعي اهتمامه وفضوله ، ولهذا نجد من أهم خصائص الطفل في هذه المرحلة من الناحية العقلية كما يقول بياجيه " النفعية " ، أي أنّ عقل الطفل يستوعب بالدرجة الأولى ما ينفعه ، وهذا هو السبب لكونه يتعلم الأسماء قبل الأفعال ، لأن الأسماء تدل على المسمّيات وهي مشخّصة ومحسوسة ونافعة له ، بخلاف الأفعال أو الصفات التي هي أكثر تجريدا من الأسماء ، ومن ثم ينبغي علينا أن نستغل هذه الخاصية لإفادة الطفل وتعليمه ما نريد من المفاهيم والمضامين اللغوية بطريقة بسيطة ومشوقة.

إن للأطفال حتى سن السادسة قدرة فطرية كبيرة لاكتساب المهارات اللغوية ، خاصة إذا عرفنا نحن المحيطين به كيف نساعدهم على تنمية هذه القدرة وبالكيفية الصحيحة وفي الوقت المناسب.

خامسا: جودة الحياة الأسرية الداعمة للموهبة اللغوية:

المقصود بالحياة الأسرية الداعمة للموهبة اللغوية هي المناخ العام السائد في الأسرة، والمتضمن أساليب التنشئة والمعاملة السوية المتبعة من قبل الوالدين خصوصا، وأفراد الأسرة عموما ، كما تشمل الوعي بالموهبة وإدراكها وتلبية متطلبات تربيتها، وتوافر المتطلبات المادية، والمحفزات العقلية، والمثيرات المعرفية التي تنميها، والجو النفسي والاجتماعي العام المريح والمشجع على نموها وتطورها... ولهذا فإن البيئة التي يعيش فيها الموهوبون ينبغي أن تكون بيئة تتسم بمستوى مرتفع من المناخ الاجتماعي والنفسي، وتتميز بالأساليب التربوية السوية الداعمة لنمو الموهبة، وبالثراء المعرفي الذي يتيح للأطفال اكتساب المعارف المختلفة التي تنمي قدراتهم العقلية وتزيد حصيلتهم المعرفية، ولها وعي مرتفع بالموهبة وخصائصها، وأساليب تنميتها والتعامل معها (٣٤). ومن ثم فإن جودة الحياة الأسرية أصبح من أهم المتغيرات التي تلعب دورا رئيسيا في حياة الأفراد بصفة عامة والأطفال الموهوبين بصفة خاصة، وقد زاد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، ذلك لأهميتها في توافق الأبناء على المستوى الاجتماعي والانفعالي والنفسي ، ومن ثم تحسين مستوى الصحة النفسية لديهم، وقد أكد هذا بوتنام(Putnam ١٩٩٠) عندما اعتبر جودة الحياة الأسرية من أكثر الموضوعات أهمية، حيث افترض أن الأسرة هي المنظمة الأساسية الأكثر تماسكا في المجتمع، وهي تمثل رأس المال الاجتماعي في المجتمع (٣٥).

إن للأسرة أهمية بالغة في صياغة الشخصية الإنسانية، وتنشئتها اجتماعيا، وتنميتها معرفيا، وصيانتها نفسيا، وبالتالي فإن أثرها سيكون أبلغ على الطفل الموهوب، لخصوصية خصائصه وسماته، ولاحتياجه لأساليب معاملة خاصة، وتنشئة مختلفة، تراعي موهبته، وتدرك خصوصية حالته (٣٦). ولهذا فإن الفرد الذي يتمتع بالأمان والاطمئنان داخل أسرته، ويتفاعل بشكل إيجابي وصحي مع أفرادها، يَعْتبِر أسرته سندا وقوة تدفعه دائما للانطلاق في الحياة، حيث يُحفّز ويُشجعُ من الأسرة التي يجد في كنفها كل الحب والرعاية والأمن والاستقرار، أسرة تفرح لنجاحاته وتقيمها (٣٧).

ويمكننا في نهاية هذه الدراسة التأكيد على أن جودة حياة الأسرة من حيث أمنها واستقرارها، وأساليب التربية السليمة المتبعة فيها، وشبكة العلاقات الاجتماعية الإيجابية فيها، من شأنه أن يساعد الطفل الموهوب لغويا على تطوير مواهبه، وتنمية قدراته، وتحسين أدائه ومهاراته في اللغة وفي شتى المجالات، ولهذا وجدنا أن أغلب المبدعين نشأوا في بيئات اجتماعية محفزة، ومناخ أسري ثري ومتفتح، مما مكنهم من التفوق والتميز والريادة والإبداع.

سادسا: اقتراحات وتوصيات:

يمكننا أن نستخلص من كل سبق مجموعة من الاقتراحات والتوصيات نوجزها فيما يلي:

١- إن توعية الآباء والأمهات بأهمية الموهبة اللغوية المبكرة وأبعادها التربوية والنفسية والاجتماعية، يُسْهِم في فعالية أدوارهم التربوية تجاه اكتشاف ورعاية أطفالهم الموهوبين قبل الدخول إلى المدرسة بصورة صحيحة.

٢- تحسيس الآباء وجميع أفرد المجتمع بأهمية جودة الحياة الأسرية ودورها في تنمية القدرات المعرفية واللغوية للأطفال.

٣- زيادة الاهتمام بمرحلة الطفولة المبكرة من خلال إنشاء وحدات البحث الجامعية (Les unités de recherche) المُتخصّصة في هذا المجال والتي تعالج المشكلات الحقيقية التي تواجه الأطفال في بداية حياتهم.

٤- على الآباء أن يتقبلوا تساؤلات الأبناء – خاصة في السّن السّؤول – لأنّ ذلك من أهم الأمور التي تشجع الأطفال على حبّ المعرفة والتفكير الابتكاري.

٥- إحاطة الأطفال بمطبوعات وظيفية، ويعني ذلك توفير الكثير من المواد المطبوعة المستخدمة لأهداف حقيقية لا لأهداف زخرفية وتدريبية (٣٨). فالمواد المطبوعة المتوافرة في الأقسام الدراسية لأطفال الروضة تساهم بشكل فعّال ومباشر في تنمية حبهم للغة مبكرا، وتساعدهم على زيادة رصيدهم اللغوي، وتقوية علاقاتهم بمعلميهم من خلال زيادة الاتصال والتواصل معهم.

٦- تحسين جودة تعلم المُتفوّقين والموهوبين، حتى تتقوى لديهم دافعية الاستمرارية والنبوغ في مجالات تخصُّصهم في المستقبل.

٧- توجيه بعض رسائل الماجستير والدكتوراه لتتناول موضوعات لها علاقة بالطفولة المبكرة، لأننا نلاحظ بأن أغلب الباحثين في الوطن العربي يتوجّهون لدراسة عيّنات متمدرسة في التعليم:) الابتدائي أو المتوسط أو الثانوي أو الجامعي(، لكنّنا قلّ ما نجد عيّنات خاصة بالطفولة المبكرة.

٨- بناء برامج إرشادية تساعد على تكيّف الأطفال الموهوبين، واندماجهم مع غيرهم من أندادهم في المجتمع، خاصة عند غياب المراكز المتخصصة التي تُعنى بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

٩- العناية بتكوين وتأطير مربّيات الرّوضة ومعلمات الأطفال في الطور التحضيري بما يتوافق مع أدوارهنّ الاستراتيجية المستقبلية الهامة، لأنّهنّ يُؤدّين أدواراً مُهمّة في اكتشاف الأطفال الموهوبين، كما أنّهنّ يلعبن دوراً مهمّاً أيضاً في رعايتهم وتنمية قدراتهم.

خاتمة:

لقد تبين لنا مما قلناه سابقا أهمية مرحلة الطفولة المبكرة ، وكذا أهمية المرحلة الحرجة في نمو المهارات المختلفة، ومن بينها إتقان الكلمات والمترادفات والجمل والمهارات اللغوية المختلفة ، والتي تُعينُ الطفل على إمكانية أن يكون في المستقبل مُحبّا للغته ومُساهما في بناء شخصية أمّته.

إن الطفل متعلّم ماهر بطبيعته، والمطلوب هو أن يتحقق له في بداية حياته مجموعة من الأمور المساعدة على حبّ اللّغة وتذوّقها، والتَّمتُّع بها وبمفرداتها وجُملها، ومحاولة تطبيقها في حياته اليومية، ومن بين هذه الأمور نجد: ثقافة الوالدين، وحُبّهما، وطريقة معاملتهما لأبنائهما، وأساليب تربوية سليمة، وحياة أسرية آمنة ومستقرة ، وأن نُوجّهه بما يساعده على استغلال أوقاته سواء كان في الروضة، أو في الكتاتيب القرآنية، أو في البيت، أو حتى في أوقات الفراغ، لكي ينمي قدراته ومهاراته، إمّا بالدّراسة أو باللّعب الهادف والمُوجَّه الذي يزيد من ثروته اللغوية. ولا ننس أيضا الاستخدام السليم والصَّحيح لوسائل الإعلام، حيث يعتبر التليفزيون والراديو والأنترنيت وغيرهم وسائل مُهمّة وضرورية في تحسين مستويات الأطفال في اللغة، وبالخصوص في الطفولة المُبكرة، ضف إلى ذلك جماعة الرفاق، حيث أن الاحتكاك بالأطفال الأنداد، وخاصة إذا كانوا يتمتّعون بمهارات خاصة وذكاءات متنوعة، هي أيضا من بين ما يساعد الطفل الموهوب على تنمية قدراته اللغوية، من خلال استخدامه للغته والحديث مع زملائه.

المراجع:

١- صبحي تيسير، الموهبة والإبداع: طرائق التشخيص وأدواته المحوسبة، دار إشراق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٢، ص٧.

٢ – Charles A. Nelson. Bloom. F. Gifted Child Development & Family Organization Philips press. London ٢٠٠٢. p. (٢٦-٣٢).

٣- موسى محمد نجيب، أساليب المعاملة الوالدية للأطفال الموهوبين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، مصر ٢٠٠٣.

٤- الشربيني زكرياء، ويسرية صادق، أطفال عند القمة –الموهبة والتفوق العقلي والإبداع- دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢، ص٥٥.

٥- محمد عبد العزيز الطالب، البيئة الأسرية الداعمة لنمو الموهبة، مجلة العربية لتطوير التفوق، العدد ٥، صنعاء، ٢٠١٢، ص٢٩.

٦- المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ٢٠٠٠ ، ص٣١٤.

٧- طارق عبد الرؤوف عامر (٢٠١٥) ، تصور مقترح لاكتشاف ورعاية الموهوبين في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة، المؤتمر الدولي حول: التربية آفاق مستقبلية، ١٢-١٥ أفريل ٢٠١٥ ، جامعة الباحة، السعودية، ص٩.

٨- عبد العزيز بن سعود العمر، لغة التربويين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ٢٠٠٧ ، ص٣١١.

٩- سميرة أبو زيد النجدي، الطفل الكفيف الموهوب، المؤتمر العلمي الثاني، كلية رياض الأطفال بالقاهرة ١٩٩٧، ص ٥٩٥

١٠- البستاني فؤاد أفرام، منجد الطلاب ، طبعة٣٨، دار المشرق، بيروت

١١- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، طبع دار الكتب العلمية، ط١، جزء أ ، بيروت ١٩٩٣، ص٢١٥.

١٢- أماني عيد المقصود ، وسميرة محمد شند، جودة الحياة الأسرية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى عينة من الأبناء المراهقين، ٢٠١٠ ، ص٤٩٨.

١٣- منار عبد الرحمن خضر، أحلام عبد العظيم مبروك، جودة حياة الأسرة وتأثيرها على قدرة الأم لاكتشاف وتنمية الذكاءات المتعددة لدى الأطفال في سن ما قبل المدرسة، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد٢٣ ، أكتوبر٢٠١١، المنصورة: القاهرة ٢٠١١، ص٩٠.

١٤- خليل ميخائيل معوض ، سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، المكتبة الجامعية الأزاريطة، الاسكندرية ٢٠٠٠ ، ص ١١٥.

١٥- Gardner. H. (١٩٩٧). Extraordinary minds: portraits of exceptional individuals and an examination of our extraordinariness. New York: Basic Books.

١٦ – Frey. N. & Fisher. D.. Reading and the Brain: What Early Childhood Educators Need to Know. Early Childhood Education Journal ٢٠١٠ ،١١٠-١٠٣ :(٢)٣٨

١٧ – Moyer. J.. H. Egertson. and J. Isenberg. The Child-Centered Kindergarten. Position Paper of the Association for Childhood Education International. Childhood Education ١٩٨٧ ،٦٣. pp. ٢٤٢-٢٣٥.

١٨- عبد الله بن محمد الجفيمان ، تربية الموهوبين في الوطن العربي في برامج تكوين المعلمين، ص١٤.

١٩- أرمسترونج توماس، الذكاءات المتعددة في غرفة الصف، ط١، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٦ .

٢٠- جابر عبد الحميد جابر، الذكاءات المتعددة والفهم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٣ .

٢١- حسين محمد عبد الهادي، مدخل إلى نظرية الذكاءات المتعددة، ط١، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.٢٠٠٥

٢٢- عبيدات ذوقان وأبو السميد سهيلة، الدماغ والتعلم والتفكير، دار ديبونو، عمان ٢٠٠٥.

٢٣ – Gagné. F.. Toward a differentiated model of giftedness and talent. In N. Colangelo and G. Davis (Eds.). Handbook of gifted education (pp. ٨٠-٦٥). Boston: Allyn and Bacon. ١٩٩١.

٢٤ – Gardner. Op cit. P١٥٩.

٢٥- القضاة محمد والترتوري محمد، تنمية مهارات اللغة والاستعداد القرائي عند طفل الروضة ، دار الحامد للنشروالتوزيع، عمان : ٢٠٠٦، ص ٦٨.

٢٦- سورة الإسراء ، الآية ٣٦.

٢٧- سورة النحل ، الآية ٧٨.

٢٨- يحي علاق ، أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية ٢٠١٠/٢٠١١، ص١٢.

٢٩- معمر نواف الهوارنة (٢٠١٢) ، " دراسة بعض المتغيرات المرتبطة بتأخر نمو اللغة لدى أطفال الروضة " دراسة حالة " ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٨ ، العدد ٣ ، دمشق ٢٠١٢، ص٨٦.

٣٠- إبراهيم عبدالله المومني، مرحلة ما قبل المدرسة وأهميتها في اكتساب المهارات اللغوية، كلية العلوم التربوية ، الجامعة الأردنية ، عمان ٢٠١٠، ص٤٢.

٣١- سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣ ، ص١٦.

٣٢- حياة المجادي، الإبداع والتعليم في الطفولة المبكرة، الهيئة العانة للتعليم التطبيقي والتدريبي، الكويت ١٩٩٥، ص٣٦.

٣٣- أسامة محمد عبد المجيد ، الموهبة اللغوية، طرق التعرف عليها وتنميتها، مؤسسة الملك عبد العزيز لرعاية الموهوبين، ص٨٩-٩١

٣٤- محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص٣٧.

٣٥- أماني عبد المقصود وسميرة محمد، مرجع سابق، ص ٤٩٨

٣٦- محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص٣١.

٣٧- خليل محمد بيومي، سيكولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء للنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٠، ص ٢٨.

٣٨ – Ortiz and Engelbreclit، ١٩٨٦